

ابو سفیان و شعره^{رض}

☆
الدكتورة عمرة عمرانہ شہزادی
☆☆
الدكتور افتخار احمد خان

Abstract:

"To praise the prophet Mohammad (Peace be upon him) in the will of Allah Almighty. History is the witness that the people, own and otherwise, praised Him regarding his internal and external characteristics even before the declaration of the Prophethood, while the message of "وانذر عشيرتك" with the exalted status of the Prophet went from east to west, everywhere in the world. The people who opposed and tortured the Prophet, continued to praise saying him "الصادق و الامين" and ultimately submit their will to the message of the Prophet (ﷺ). The poets praised the Prophet in poetic way, Abu Sufiyan bin Haris is also one of them. The following article is a research analysing of his poetry regarding the praise worthy Personality and Seerah of the last of all Prophets."

هو ابو سفیان بن الحارث بن عبدالمطلب بن ہاشم اخو نوفل وریعة ، اسمہ المغیرة وابن عم النبی ﷺ كانت امه جاریة تدعى سمیة وفي رواية اخرى غزیه وكانت من نساء قریش .

ولد ابو سفیان فی اللیلة ولد فیها النبی ﷺ وكان اخا النبی ﷺ من الرضاعة ویألف النبی ﷺ ویأنس به فی طفولته الا انه اصبح بعد البعثة فی اعداء النبی ﷺ وتعاون مع المشركین فی محاربتہ ﷺ (۱) وهجا ابو سفیان النبی ﷺ فخاص حسان فی میدان الهجاء للدفاع عن النبی ﷺ . قائلًا :

☆ اسٹنٹ پروفیسر، شعبہ عربی، گورنمنٹ کالج یونیورسٹی برائے خواتین، فیصل آباد
☆☆ لیکچرر شعبہ علوم (اسلامیہ و عربی)، جی سی یونیورسٹی، فیصل آباد

ألا أبلغ ابا سفيان مني^(۲)

كان ابو سفيان شاعراً من أعلى شعرائهم شأنًا ومقامًا ، وفتح سنانه ولسانه في محاربة الرسول فقال فيه كلاماً فاحشاً موجعاً وطالت عداوة ابي سفيان للنبي ﷺ حتى قاربت عشرين عاماً .

نور الله بصيرة ابي سفيان وقلبه للإيمان ، خرج إلى رسول الله ﷺ تائباً لله رب العالمين ، قيل قليل فتح مكة مع اسرته والقي نفسه مع ولده جعفر أمام رسول الله وصاحا : نشهد ان لا اله الا الله ونشهد أن محمداً رسول الله - فقال رسول الله ﷺ "ولا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين" ،^(۳)

ونادى علي بن ابي طالب قائلاً : قال : رسول الله ﷺ "ألا إن الله ورسوله قد رضينا عن ابي سفيان بن الحارث فارضوا عنه -" ،^(۴)

أحب النبي ﷺ ابا سفيان هذا ، وشهد له بالجنة كان رسول الله يقول : ابو سفيان أخي ، وخير أهلي وقد اعقبني من حمزة ابا سفيان بن حارث ،^(۵) فرح المسلمون بإسلام أبي سفيان ، واستقروا سراياً بأمر رسول الله ﷺ ، بعد رجوعه إلى المدينة .

توفي في خلافة عمر فاروق رضي الله عنه بالمدينة سنة عشرين من الهجرة اثر جرح في رأسه بسبب الحلاقة ودفن في البقيع .

كان ابو سفيان شاعراً موهوباً فقال من شعره جزاً كبيراً لهجاء رسول الله ﷺ فأهدر رسول الله ﷺ دمه ، لما سلمت ابا سفيان الهداية وجاءته العناية جاء يسعي على القدمين إلى النبي ﷺ . وهو يقول :

أنت الذي يهدي لأمرك كل من	يهدى الإله ومن به اكشفت الردى
يا خير من زان البرية حسنه	وأجمل مبعوث أتانا بالهدى
ما أنجبت حوا لادم مثله	كلا ولا في الخلد محمدا
كلا ولا حملت بنات في الورى	ابعى جمالاً من جمال احمدا
كلا ولا ركب السباق كمثلته	عند القتال ولا تراه مقلدا
قد جئت للبيت الحرام تزوره	رغم الأنوف بذاك اكمدت العدا
الأمر يا مختار فيما قد ترى	قد جاء أمر الله فيك مسددا
فعليك صلى الله ربك دائما	يا خير المبعوث أتانا مرشدا ^(۶)

وأنشد ابو سفيان بعد قبول إسلامه واعتذر إليه مما كان مضى منه يقول :

لعمرك إني يوم أحمل راية
لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران اظلم ليلة
فهذا أوان حين أهدى واهتدى
هداني هادٍ غير نفسي وقادني
الى الله من طردت كل مطرد
أصدو أناى جاهداً عن محمد
وأدعى وإن لم أنتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل لهواهم
وإن كان ذا رأى يلم ويفند
أريد لارا صيهم ولست بلائط
مع القوم مالم أهد فى كل مقعد
فقل لثقيف لا اريد قتالها
وقل لثقيف تلك غيرى أوعدنى
فما كنت فى الجيش الذى نال عامرا
وما كان عن جراً لسانى ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة
نزاع جاءت من سهام وسردد^(٤)

وشارك فى حرب حنين وكان واحداً من المعدودين الذين ثبتوا الى جانب
ﷺ ، نهاية الحرب ، وكان ممن حصل على سهم اكبر من الغنيمة وقال يوم حنين .
ومن شعره يوم حنين :

لقد علمت أفناء كعب وعامر غداة حنين حين عمّ اتتعن
بأنى أخو الهيجاء اركب حدّها أمام رسول الله لا أتتعن
رجاء ثواب الله والله واسع إليه تعالى كل أمير سيرجع^(٨)
ولما لحق الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بالرفيق الاعلى حزن عليه
ابو سفيان وراثه بقصيدة :

أرقت فبات ليلى ولا يزول وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما اصيب به المسلمون قليل

لقد عظمت مصیبتنا وجلت
واضحت الرضنا ممّا عراها
فقدنا الوحى والتنزیل فینا
وذاك الحق ما سالت علیه
نبی الله كان یجلو الشك عنا
أفأطم إن جزعت فذاك عذر
فعوذى بالعزاء فان فیه
وقول فى ابیک ولا تملی
فقبر أبیک سیّد کل قبر
ویهدینا فلا نخشى ضلالاً
صلاة الله من ربّ رحیم

عشیة قیل قد قبض الرسول
تکاد بنا جوانها تمتیل
یروح به ویغدو جبریل
نفوس الناس أوکربت تسیل
بما یوحى إلیه وما یقول
وإن لم تجزعی فذاك السبیل
ثواب الله والفضل الجزیل
وهل یجزى بفصل ابیک قیل
وفیه سیّد الناس الرسول
علینا والرسول لنا دلیل
علیه لا تحول ولا تزول^(۹)

الأسلوب

خلال دراسة شعر ابی سفيان نجد أن النص يعدّ مثلاً متكاملًا للأدب الاسلامی وخیر معبر للمذهب الأدبی والسائد فى تلك الفترة . ولاحظت سمة البساطة والوضوح عند ما اسلم الاسلام بقبول حسن واعتذر إلیه مما مضى منه هو یحمل أسلوباً واضحاً لیسرى تأثيرها فى نفوس رجال المجتمع ، للانضواء تحت رؤية الاسلام ولیتوسع مداها ولیتردد وینتشر فى أرجاء الجزيرة العربیة مثل :

لعمرك إنی يوم احمل رایة
لکالمدیح الحیران اظلم لیلة
هدانى هاد غیر نفسى ونالنى
لتغلب خیل اللات خیل محمد
فهذا أوانى حین اهدى واهتدى
مع الله من طردت کل مطرد

یظهر لنا من دراسة القصیدة ان أسلوبه اسلامى بحث ومن مظاهر هذا الاسلوب التحرر من الالتزام تقالید الجاهلی مثل حدیث عن تجربة الناقة والجمال والصحراء والرحلة .

الخصائص الفنية

وهناك سمات عامة ، من اجل وهولاء یمکن لنا ان نتمیز أبیاته التى كانت تعبيراً جمالیاً مؤثراً عن مواقفه وتصوراته إزاء الكون والحیة والانسان .

موضوعات شعره

خلال دراسة الشعر وجدت الموضوعات المهمة في أبياته مثل ، المدح ، والفخر ، والرثاء ، عند ما يمدح الشاعر الممدوح وهو يرسم الإعجاب فيه بأعلى درجات الكمال . وهو يذكر عمل الممدوح بالفضائل الجليلة والأعمال الخالدة ، والسجيا الحميدة والأفعال الطيبة مثل يقول :

يا خير من زان البرية حسنه واجمل مبعوث أتانا بالهدى
ما انجبت حوا لادم مثله كلاً ولا في الخلد محمداً
كلاً ولا حملت بنات الورى أبقى جمالاً من جمال احمداً
ويقول ايضاً :

نبي الله كاب يجلو الشك عنا بما يوحي إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً علينا والرسول لنا دليل

الرثاء

فن من فنون الشعر العربي المعروفة قبل الاسلام ، وهو وسيلة يعتبر بها المرء عن خلجات نفسه عند ما يمر بتجربة مؤلمة تفقده أحد ذويه من الأهل والأقارب والأصدقاء وغيرهم . عند ما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الاعلى رثى ابو سفيان بقصيدة يقول :

أرقت فبات ليلي ولا يزول وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما اصيب المسلمون قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قبل قبص الرسول
فقدنا الوحى والتزيل فينا يروح به ويغدو وجبريل

العزاء

العزاء في الاصل القبر والتعزية يراد بها الحمل على الصبر هذا فعل ابو سفيان في شعره .

يحث فاطمة رضى الله عنه على الصبر ويعرفها فضله ويعبر بالجزع ايثارا وتزيننا بالحلم يقود يخاطب بنت النبي ﷺ قائلاً :

أفطم إن جزعت فذاك عذر وإن لم تجزعى فذاك السبيل
فعوذى بالعزاء فإن فيه ثواب الله والفضل الجزيل

وقول فی أبیک ولا تملی
 وفیه سید الناس الرسول
 صلاة الله من رب رحیم
 وهل یجرى بفصل ابیک قیل
 علیه لا تحول ولا تنزل

الفخر والحماسة

الحماسة تعنی الفخر بالنفس والآباء وذكر البطولات والوقائع ووصف الحرب والمراد بالفخر السيادة والمجد والکرم والاخلاق الکریمة ، فهما صنوان متلازمان بسیران فی خطٍ واحدٍ لا یمکن الفصل بينهما یذكر ابو سفیان فی شعره محاسنه ومجده وايضاً مکارم الاخلاق لنبی ﷺ. مثل یقول :

لعمرك إنی يوم أجمل رایة
 لتغلب خیل التلات خیل محمد
 قل لثقیف لا أرید قتالها
 وقل لثقیف تلك غیری او عدنی
 فما كنت فی الجیش الذی نال عامراً
 وما كان عن جرّ لسانی ولا یدی
 قبائل جاءت من بلا د بعیده
 نزائع جاءت من سهام وسردد

ویقول فی الفخر :

لقد علمت افتاء کعب وعامر
 غداة حنین عمّ التضعضع
 بأنی أخو الهیجاء اركب حدّها
 أمام رسول الله لا أتتنع

ویقول :

فعلیک صلی الله ربک دائماً
 یا خیر المبعوث أتانا مرشداً

شعر العقیدة

وكان بزوغ فجر الاسلام حدثاً تاريخياً فی الجزيرة العربية أخذ فعله ، فی نفوس الناس ولا سیما الشعراء نقی عقیدة العرب فی التوحید من الشرك ، والنبی

المرسل ﷺ يدعو دعا الناس إلى هذا الدين وصار لهذه المعاني حضور واسع في شعر من أسلم من الشعراء . وفي شعر العقيدة يقول ابوسفيان في التوحيد الذي هو الركن الاول للاسلام :

رجاء ثواب الله والله واسع
إليه تعالى كل أمرٍ سيرجع

التصديق

ونجد اباسفيان على يقين من صدق الرسول محمد ﷺ قبل البعثة وبعدها

مثل يقول :

كلا ولا ركب السياق كمثلته عند القتال ولا تراه مقلدا
قد جئت للبيت الحرام تزوره رغم الانوف بذاك اكملات العدا
الامر يا مختار فيما قد ترى قد جاء امرالله فيك مسددا

ويقول:

فقد الوحي والتنزيل فينا يروح به ويغدو جبريل
وذاك الحق ما سالت عليه نفوس الناس أوكربت تسيل
نبي الله كان يجلو الشك عنا بما يوحي إليه وما يقول
صلاة الله من رب رحيم عليه لا تحول ولا تزول

ويقول:

هداني هاد غير نفسي وقادني
إلى الله من طردت كل مطرد

الحث على الصبر

حث في شعره ابو سفيان فاطمة رضی الله عنها. أن تتحلى بالصبر وحضنها

على طاعة النبي ﷺ في ذلك الالم يقول :

أفطم إن جزعت فذاك عذر وإن لم تجزعي فذاك السبيل
فعوذى بالجزاء فإن فيه ثواب الله والفضل الجزيل
وقول في ابيك ولا تملى وهل يجزى بفعل ابيك قيل
فقبر ابيك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول (١٥)

لغة الشعر

إن فن الادب يختلف عن الفنون الاخرى ، لأنه يركز على اللغة فاللغة هي الاساس الذى تمنح الشعر سرشا عربية ، المصورة للمعاني فى النفس الإنسانية وهو يسكب عواطفه و احساسه ومشاعره . فالثقافة والبيئة والتجربة الشعرية تؤثر فى لغة أى شاعر ، وقد أثر بيئة ابي سفيان على شعره تأثيراً جاذباً . مثل نلاحظ الالفاظ التى وردت فى شعره قد توسع الاسلام فى دلالتها ، التى كانت شائعة قبل انتشاره بين أبناء الجزيرة العربية . يتسع ما جاء به من عبادات وعقائد لم يعرفها المجتمع العربى من قبل . فى أبياته الفاظ واضحة لا تحتاج من المتلقى اجالة فكر . أو تأمل متان للكشف دلالتها مثل أبياته عند قبول إسلامه .

أصدو أنأى جاهداً عن محمد	وادعى وإن لم انتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل لهواهم	وإن كان ذا رأى يلم ويفند
أريد لأراصيهم ولست بلائط	مع القوم مالم اهد فى حل مقعد

الالفاظ المستعملة مثل فى هذه الابيات ، جاهدا ، محمد ، رأى القوم ، فى فضيلة رسول الله ﷺ ، استعملت بدلالات لغوية مباشرة تقريرية ، وتعلق من احساس الشاعر المدحية من السياق وفيها يكون الشاعر أشد صدقاً مع ذات محمد ﷺ .

فقل لثقيف لا أريد قتالها	وقل لثقيف تلك غيرى أو عدنى
فما كنت فى الجيش الذى نال عامراً	وما كان عن حرا لسانى ولا يدى
قبائل جاءت من بلاد بعيدة	نزاع جاءت من سهام وسرد

تلك الالفاظ التقريرية المباشرة تحتاج إلى الكشف عن دلالتها فى كتب التاريخ مثل ذكر قبيلة ثقيف والجيوش الأخرى ، وهذا الامر يعتمد على معرفته حول المجتمع واحواله العصرية .

الاعلام

نلاحظ فى شعر ابي سفيان ذكر فاطمة رضى الله عنها حين يرثى رسول الله ﷺ ، وذكر القبائل ، مثل: ثقيف ، وعامر وكعب و حوا ، وادم ، وجبريل واللات وغيرها .

وعند ما يرثى ابو سفيان محمد ﷺ ، يردد الكلمات المقدسة لنبى ﷺ مثل: نبى الله ، سيد الناس ، والرسول دليل ، فى آن معاً .

الأمکنة

وردت أسماء اماکن فی شعر ابی سفیان کان لها أثرها الكبير فی تاریخ

حیاته ، مثل :

لقد علمت افناء کعب وعامر
غداة حنین حین عمّ التضعضع

الصياغة

ويتوکأ ابی سفیان فی خطابه الشعری بوسائل الخطاب الجهریة من استفهام ونداءٍ وأمرٍ ونهیٍ ودعاءٍ وكل هذا مساعد ابراز حمیته فی فجر الإسلام ، فادعی نصره اخیه رسول الله ﷺ أمام الجمهور یوم فتح مکة فی بیت الله الحرام ، مثل فعل الطلب الأمری فعل وهذا الفعل يدل علی عواطفه من غضبٍ وزهوٍ وحبٍ وحنانٍ وشفقتة لشخص معین .

وفعل الامر "فعودی" عندنا خاطب الشاعر نبت النبی ﷺ بعلاقة الشرطیة

بین جملة الشرط وجوابها المبنیة علی التقابل . مثل :

أفطم إن جزعت فذاك عذر وإن لم تجزعی فذاك السبیل
فعودی بالعزاء فإن فیہ ثواب الله والفضل والجزیل

النفی

وهو ضد الايجاب ، النفی اسلوب اخبار سلبي يدل علی النقص والینکار

للأشیاء المادیة والمعنویة علی السواء یراد به ازالة ما فی ذهن المخاطب ، ورد ترکیب النفی فی شعر ابی سفیان لطرائق متبانیة من استعمال ، لا ، لم ، ما فقال :

ما انجبت حوا لآدم مثله کلا ولا فی الخلد محمداً
کلا ولا حملت نبات فی الوری ابهی جمالاً من جمال محمداً
کلا ولا ركب السیاق کمثله عند القتال ولا تراه مقلدا
ویهدینا فلا نخشی ضلالا علینا والرسول لنا دلیل
صلاة الله من رب رحیم علیه ولا تحول ولا تزول

ویقول:

أرید لأراصیهم ولست بلائط
مع القوم مالم أهد فی کل مقعد

التوكید

یورد المتكلم احيانا الحديث خالياً من التوكید فإذا يحس ان كلامه سيقابل بالإرتياب والإنكار من الطرف الآخر ، لجا ابو سفيان باحد أنواع التاكيد مثل يقول :

لعمرك إنني يوم احمل رايةً
لتغلب خيل اللات خيل محمد

الاستفهام

الاستفهام من الاساليب اللغوية يراد بها طلب الإفهام ليتصرف على حقيقة معنوية أو حسية مادية فيكشف ما يخشاه عن روية وحيرة وقد نسج الشاعر تركيب الاستفهام .

أفاطم إن جزعت فذاك عذر
وإن لم تجزعي فذاك السبيل

النداء

صيغة النداء هي احدى طرائق الخطاب الموجه من المنادى إلى من يريد ان يخاطبه. حرف النداء "يا" يستعمل للنصح والإرشاد والتهديد والتحذير، والتخاطب، استخدم ابو سفيان حرف النداء في شعره للخطاب وهو يقول:

يا خير من زان البرية حسنه
واجمل مبعوث أتانا بالهدى

اثر الإسلام في لغة شعره

من خلال القراءة الفاحصة لشعر ابى سفيان يتبين أن اثر الإسلام في لغة شعره الملتزم بقصائده الإسلامية الجهادية لنصرة رسول الله ﷺ طبيعة الموضوعات في القصائد هي الحث على النصره والمجاهدة في سبيل الله ودعوة رسوله. فنجد اقتباسه من آيات الذكر الحكيم معنى ، وتزيين شعره بالألفاظ القدسية لاسم الجلالة وتعظيم صفات رسول الله ﷺ ، زين ابو سفيان أبياته الشعرية من تعبير التنزيل العزيز " كل امر اليه سيرجع " من رب رحيم ، إن هذا الاقتباس لفظاً أو معنى في شعره يدل على مقدرته الفنية في التعبير ودال على ايمانه العميق ، ويصدق ابو سفيان أخاه ﷺ ويتحدى مشركي قريش ، فازدهرت الفاظه بدلالتها في قصائده الإسلامية بشكل واسع-

حوالہ جات

- ۱- اسد الغایة، لابن الاثیر، ج ۱، ص ۵۶
- ۲- دیوان، حسان بن ثابت، ص: ۶۰
- ۳- السورة یوسف: الایة: ۹۲
- ۴- السیرة النبویة لابن هشام، ج ۲، ص ۳۹۹
- ۵- السیرة النبویة لابن هشام، ج ۲، ص ۲۰۰
- ۶- المصدر السابق، ص: ۲۰۵
- ۷- الطبقات الکبری، لابن سعد، ص: ۱۷۷
- ۸- المصدر السابق، ص: ۱۲۰
- ۹- سیر اعلام النبلاء، ج ۱، ص ۸۵
- ۱۰- البدایة و النهایة، ج ۵، ص ۲۲۷